جمعية
مركز الإمام الألباني
للدراسات والأبحاث

سلسلة الندوات العلميّة (١٠)
الإصدار (١٤٥)

ندوة

وحدة المسلمين بين التكوين والتمكين

شارك في الندوة

فضيلة الشيخ عليّ بن حسن الحلبيّ
فضيلة الشيخ أحمد الخشاب (أبو اليسر)

سلسلة الندوات العلمية: (١٠)

الإصدار (١٤٥)

ندوة

وحدة المسلمين بين التكوين والتمكين

شارك في الندوة

فضيلة الشيخ علي بن حسن الحلبي

فضيلة الشيخ أحمد الخشاب (أبو اليسر)

٢٠-٢٢/ ربيع الأول/١٤٢٦هـ

٢٩/٤-١/٥/٢٠٠٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

وحدة المسلمين
بين التكوين والتمكين

كلمة فضيلة الشيخ علي بن حسن الحلبي

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمدٍ الهادي الأمين، وعلى آله وصحبه الطيّبين الطاهرين، ولا عدوان إلا على الظالمين، **أمّا بعد:**

فلولا أنّ العرفَ السائد يقتضي أن تكون الندوةُ في آخر المطاف على حسب العادة المتبعة لكان الواجب أن تكون هذه الندوةُ رأس الأمر؛ لأنها عنوان هذا الملتقى، وشعاره، وآيته، ولكن ليقضيَ الله أمرًا كان مفعولا.

ومما ينبغي التذكير به لا الاعتذار عنه أنّ طبيعة الدورات العلميّة، أو المؤتمرات، أو الملتقيات العلميّة المتخصّصة، أنها وإن تنوّعت محاورها، وتعدَّدت محاضراتها، وصورها، فإنّ المقصود الأوّل منها كلّها هو: تحقيق العنوان، وعليه؛ فإنّ ما تكرّر، أو يتكرَّرُ، أو سيتكرّر من أدلّة، أو حُجج، أو نصوص، أو أفكار، فهذا شيء لا يُعتذر عنه؛ لأنه هو الأصل، فنحن نبحث بحث دليل، لا نظر أقاويل، والدليل بيّن وظاهر، والمدرسة السلفيّة أشهر من نار على علم في حججها وبراهينها، واستدلالاتها، وهذا التنوُّع في المحاضرات، والندوات، واختلاف العناوين، كلُّه يلتقي مضمونًا واحدًا

هو: بيان أهميّة الوحدة الإسلاميّة على الأسس الشرعيّة، وكفُّ خطر التفرُّق، المبنيّ على الهوى، والجهل، والانحراف، فهذا أمرٌ بدهيٌّ جدًا، وطبيعيٌّ جدًا، فلا يُعتذر عنه ابتداءً.

قلنا: هذه الندوة العلميّة التي نفتتح بها الندوات، فهي الأولى، والثانية هي الأخيرة، والتي هي بعنوان: (**وحدة المسلمين بين التكوين والتمكين**)، فإنها ستكون -إن شاء الله- نافعةً ومجزية، وذات أثر وتأثير، وسيكون لإخواننا المشايخ، أصحاب الفضيلة -جزاهم الله خيرًا- السَّبقَ في البيان والإبانة، والتبيين بالحجج والبراهين.

وأوّل ذلك وأولاه هو العنوان، فالأصل في العناوين أن تدلّ على المضامين، لا أن تكون العناوين خاليةً من المعنى، خليّةً من الحقيقة، ولمّا كان في العنوان مصطلحات: (**وحدة المسلمين، التكوين، التمكين**) قد تذهب بعض العقول ذات الشمال وذات اليمين بهذه المعاني، فتأخذها على غير وجهها، وتذهب بها إلى غير مراداتها، فكان لا بدّ من ضبط المصطلحات الواردة في العنوان.

وإني لأعتقد -وهذا خروج عن الموضوع كالعادة- أنّ قضيّة المصطلحات في هذا العصر من أخطر القضايا العلميّة، فالمصطلح إذا لم يكن واضحًا بين المختلفين أو المتحاورين فحينئذٍ يُقال:

شكونا إليهم خراب العراق فعابوا علينا شحوم البقر

فأين هذا من هذا؟ لكن إنه الاضطراب في المصطلح وفهمه، لذلك توضيح المصطلحات وإبانتها، وإظهارها فيه فوائد جلّة، **أهمها اثنتان:**

الأولى: إيضاح المقصود من غير تردُّد.

الثانية: دفع المُتوهَّم من غير المراد، وهذا كله ما سنسمعه من أخينا الشيخ أبي اليسر فيما لا يزيد عن عشر دقائق، جزاه الله خيرًا، وبارك الله فيه.

كلمة فضيلة الشيخ أحمد الخشاب (أبو اليسر)

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن اتبع هداه، **أمّا بعد:**

فعنوان ملتقانا هذا -كما تعلمون- أيها الإخوة: **(وحدة المسلمين بين التكوين والتمكين)**.

الوحدة -أيها الإخوة- أو الوَحدة -بفتح الواو وكسرها-، هذا اللفظ يدلُّ على الاتحاد، يدلُّ على اتحاد المسلمين، وأن يكونوا جميعًا على قلب رجلٍ واحد.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمرنا -جميعًا- بذلك كما سمعتم في الآيات الكريمات التي تُليت على مسامعكم في افتتاحيّة هذا الملتقى الكريم، قال الله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]، فيأمر الله بتحقيق التقوى بأن نكون على الإسلام إخوةً متّحدين، حيث أمر بعد ذلك بقوله: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا﴾ [آل عمران:١٠٣] اعتصموا، أي: تمسَّكوا بدين الله، كتابًا وسنّةً، وفهمًا صحيحًا بفهم السلف الصالح، فإنّ في ذلك العصمة، وإنّ في ذلك إظهار الوحدة الحقيقيّة في الفهم، والعمل،

والتعليم ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران:١٠٣] ، فهذا يُنافي الاتحاد، فإذًا نحن مأمورون بالاتحاد، وهو حتمٌ لازم، واجبٌ على كلّ مسلم ومسلمة، في مشارق الأرض ومغاربها، واجبٌ على الحكّام والمحكومين، واجبٌ على العلماء والمتعلّمين، واجبٌ على الجميع أن يتّحدوا، وأن يكونوا يدًا واحدةً على من سواهم، وأن يُحقّقوا المعنى الذي لأجله بعث الله رسولهُ محمدًا ﷺ، بعثهُ ليُوحِّد الناسَ أجمعين على كلمةٍ واحدة، على كلمةٍ سواء، وأرسل إلى ملوك العرب والعجم يدعوهم إلى كلمةٍ سواء ﴿تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾ [آل عمران:١٦٤]، هذا هو معنى الاتحاد الذي يجبُ علينا جميعًا، وما دام هناك الافتراق إذًا ليس هناك اتحاد.

كيف يكون هذا الاتحاد؟ يكون هذا الاتحاد بالتكوين، والكون من الحدث، والإيجاد، كوّن: أحدث، كوّن: أوجد، فلا بدّ أن يكون هناك شيءٌ، هذا الشيء هو الذي يكوّن الوحدة، هو الذي يُوجد الوحدة، هو الذي يؤدي إلى الاتحاد الذي أمر الله به جميع المسلمين، فقال: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا﴾ أي: إياكم أن تتفرقوا؛ لأنّ ذلك يُنافي الاتحاد، فهذا التكوين له سُبل وأساليب لا بدّ أن نقوم بها حتى يُمكّن الله لعباده المؤمنين، هذا التكوين هو الذي قال الله عَزَّوَجَلَّ عنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾

[الرعد:١١]، فلا بدّ من التغيير؛ من المعصية إلى الطاعة، من الشرك إلى التوحيد، من البدعة إلى السنّة، لا بدّ من التغيير، والله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ يأمرنا أن نكون كما كان الصحابة ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ﴾ [آل عمران:١٠٤]، ولتكن، ليكن هنالك، لا بدّ من إيجاد هذه الأمّة، هذه الأمّة هي الطائفة الناجية المنصورة، هم العلماء وطلاب العلماء، هم الدعاة إلى الله، الذين يكوِّنون، والذين يُبيِّنون، والذين يُوجدون أساليب ووسائل التمكين، الذي سيُمكّن الله عَزَّوَجَلَّ به، هذه سُنن الله الكونيّة، لا تتغيّر ولا تتبدّل.

فكما كوّن النبي ﷺ مكّن الله له، وكما كوّن الصحابة مكّن الله لهم، وفي غزوة بدرٍ قال نبينا ﷺ وهو في العريش الذي أُعدّ له عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، كان يبكي ويقول: «اللهم إن تهلك هذه العصابة(١) لا تُعبد في الأرض بعد اليوم»(٢)، أما إننا نعبد الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ اليوم فهذا من فضل الله -سبحانه-، ثمّ بفضلهم؛ لأنهم كونوا هذه القاعدة العظيمة، وَمكّنوا لهذا الدين، مكّن الله لهم؛ لأنهم عملوا بهذه الوحدة، شهد الله لهم بذلك فقال: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران:١١٠]، إذا حرصنا على هذا التكوين فسوف يكون التمكين.

(١) يعني: الجماعة القليلة من الناس.

(٢) رواه مسلم (١٧٦٣).

والتمكين أمرٌ قدريّ من الله عَزَّوَجَلَّ، إذا قمنا بالأمر الدينيّ الشرعيّ، فلا بدّ أن نكوّن أن نوجد حتى يكون هناك ما وعد الله به، والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى يقول في كتابه، وانتبهوا إلى هذه الآيات، إلى أولها وإلى آخرها، يقول سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور:٥٤]، في هذه الآية الكريمة يأمر الله بطاعة الله وطاعة الرسول، هذا التكوين، يأمر الله ويُهدد ويتوعّد؛ فيقول: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا﴾ -أي: على الرسول ﷺ- ﴿مَا حُمِّلَ﴾ يعني البلاغ والبيان، ﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ من الطاعة والالتزام ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ﴾، جعل الهداية مبنيّة على الطاعة، ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾ [النور:٥٥] من هم؟ الذين أطاعوا الله وأطاعوا الرسول، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾ هذا هو التمكين من مولانا سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النور:٥٥] ليجعلنّهم خلفاء لغيرهم من أهل الظلم والبطش، وأهل الكفر والنفاق والشرك، يجعلهم الله خلفاء الأرض، ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور:٥٥] يعني: من أهل الإيمان، ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ [النور:٥٥]، ليمكّننّ لهم ويجعل لهم السلطان، ويجعل لهم الحكم في الأرض، ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ﴾ [النور:٥٥] الذي يُبدّل هو الله، بعد أن كانوا يخافون سوف يكونون في الأمان،

الأمان الذي وعد الله به أهل الإيمان إذا اجتنبوا الشرك، كما قال -تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الأنعام:٨٢] أي: بشرك، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢]، ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [النور:٥٥]، هؤلاء الذين لا يعملون بما جاء به رسولنا ﷺ شبّه فعلهم -وهو الإعراض عن طاعة الله وطاعة الرسول- بفعل الكفّار؛ لأنّ الكفّار هم الذين لا يُطيعون الله ولا يطيعون الرسول، ولا يجوز للمسلم أبدًا أن يتشبّه بأعداء الله عَزَّوَجَلَّ من الكفّار والمشركين، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النور:٥٥-٥٦] -وأرجو الانتباه- ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [النور:٥٦].

في بداية الآيات قال: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ﴾ [النور:٥٤]، وقال: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾ [النور:٥٤]، وفي آخر الآيات قال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾، ويرحمكم الله بالتمكين لكم في الأرض، كما كان النبي ﷺ في بداية الأمر، مكّن الله له سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، وقال: «**نصرت بالرّعب مسيرة شهر**»[(١)].

والحقيقة هناك كلام جميل للإمام ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ[(٢)]، في تفسير هذه

(١) رواه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٦/ ٧٧).

الآيات: «هذا وعدٌ من الله -تعالى- لرسوله -صلوات الله عليه وسلامه- بأنه سيجعل أمّته خلفاء الأرض، أي: أئمة الناس، والولاة عليهم، وبهم تصلح البلاد، وتخضع لهم العباد، وليبدلنّهم من بعد خوفهم من الناس أمنًا، وحكمًا فيهم، وقد فعل تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ذلك، وله الحمد والمنّة، فإنه ﷺ لم يمت حتى فتح الله عليه مكّة، وخيبر والبحرين، وسائر جزيرة العرب، وأرض اليمن بكمالها، وأخذ الجزية من مجوس هجر، ومن بعض أطراف الشام، وهاداه هرقل ملك الروم، وصاحب مصر والإسكندريّة -وهو المقوقس-، وملوك عمان، والنجاشيّ ملك الحبشة، الذي تملك بعد أصحمة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأكرمه-، ثمّ لمّا مات رسول الله ﷺ، واختار الله له ما عنده من الكرامة قام بالأمر بعده خليفته أبو بكر الصديق، فلمّ شعث ما وهى عند موته ﷺ، وأخذ جزيرة العرب ومهدها، وبعث الجيوش الإسلاميّة إلى بلاد فارس صحبة خالد بن الوليد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ففتحوا طرفًا منها، وقتلوا خلقًا من أهلها، وجيشًا آخر صحبة أبي عبيدة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ومن معه، من الأمراء إلى بلاد الشام، وثالثًا صحبة عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلى بلاد مصر؛ ففتح الله للجيش الشاميّ في أيامه بصرى ودمشق ومخاليفهما من بلاد حوران وما والاها، وتوفاه الله عَزَّوَجَلَّ، واختار له ما عنده من الكرامة، ومنّ على الإسلام وأهله بأن ألهم الصديق أن يستخلف عمر الفاروق.

فقام بالأمر بعده قيامًا تامًّا لم يدر الفلك بعد الأنبياء على مثله في قوّة سيرته، وكمال عدله، وتمّ في أيامه فتح البلاد الشاميّة بكمالها، وديار مصر إلى آخرها، وأكثر إقليم فارس، وكسر كسرى وأهانه غاية الهوان، وتقهقر إلى أقصى مملكته، وقصر قيصر وانتزع يده عن بلاد الشام، فانحدر إلى القسطنطينيّة، وأنفق أموالهما في سبيل الله كما أخبر بذلك ووعد به رسول الله ﷺ؛ عليه من ربّه أتمّ سلام وأزكى صلاة.

ثمّ لمّا كانت الدولة العثمانيّة امتدت الممالك الإسلاميّة إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها، ففتحت بلاد المغرب إلى أقصى ما هنالك الأندلس وقبرص، وبلاد قيروان، وبلاد سبتة مما يلي البحر المحيط، ومن ناحية المشرق إلى أقصى بلاد الصين، وقُتل كسرى، وباد ملكه بالكليّة، وفتحت مدائن العراق وخرسان والأهواز، وقتل المسلمون من الترك مقتلة عظيمة جدًا، وخذل الله ملكهم الأعظم خاقان، وجُبي الخراج من المشارق والمغارب إلى حضرة أمير المؤمنين عثمان بن عفّان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذلك ببركة تلاوته، ودراسته، وجمعه الأمّة على حفظ القرآن، ولهذا ثبت في الصحيح أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إنّ الله زوى لي الأرض**(١) **فرأيت مشارقها ومغاربها**

(١) أي: جمع وضمّ.

وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها»(١)، فها نحن نتقلّب فيما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، فنسأل الله الإيمان به وبرسوله، والقيام بشكره على الوجه الذي يُرضيه عنّا»، انتهى كلام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وانتهى كلامي بخصوص هذه التعريفات، التي وعد الله بالتمكين لمن حقّق معنى التكوين، وبذلك تكون الوحدة بين المسلمين، ولن تكون هناك وحدة -أيها الإخوة- إلا بهذا، والحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) رواه مسلم (٢٨٨٩).

كلمة فضيلة الشيخ علي بن حسن الحلبي

جزى الله خيرًا فضيلة الشيخ على ما أجاد وأبان، على أنني أريد أن أُضيف شيئًا فيما يتعلّق بالمصطلحات، لأبيّن أنّ المصطلحات قد تتعدّد معانيها من غير تناقض، فحينئذٍ لا بأس في ذلك ولا شية فيه، أمّا إذا كان هنالك تنافر وتهاتر بين معاني المصطلح الواحد بحيث ينقض هذا غزل ذاك، فلا وألف لا، فمثلًا: مصطلح التكوين فسّره فضيلة الشيخ بالإيجاد، وهو معنىً صحيح جدًا، مع أنه لم يقع في قلبي لمّا قرأت هذا المصطلح، فلم أفهم من كلمة التكوين إلا النشأة، وكما قلت: أنا لا أرى تهاترًا وتنافرًا بين المعنيين، فالرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عندما قال: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرة على الحق**»، أي: في أصل تكوينها، «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحقّ إلى قيام الساعة، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي الله بأمره وهم على ذلك**»(١)، من التكوين والنشأة والبدء، الذي هو في الحقيقة إيجاد، وكينونة وحقيقة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وما يعقُب ذلك من فتور، وانقباض، وبسط، وزيادة، ونقص، وما أشبه ذلك.

---

(١) رواه البخاري (٣٦٤١) ومسلم (١٩٢٠).

الحقيقة أنّ كلام الإمام ابن كثير جيّش -أو أجاش- في النفس عوالج عدّة، ومعاني متعددة؛ لأنه يكتب في وقتٍ كان للإسلام فيه صولته، وقوته، وعلياؤه، وكان للمسلمين فيه يدٌ باسطة، وقوّة طائلة، وما ذلك إلا بسبب ما أقاموه في أنفسهم من العدل، وما أقاموه في غيرهم من العدالة.

وشيخ الإسلام له كلمة في هذه الجزئيّة غالية وعزيزة، لكن قد لا يُدرك معناها إلا الأقلّون، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**إنّ الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ويخذُل الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة**»(١)؛ لأن العدل في الرعيّة أساس الملك، فما فائدة أن تحكم بالإسلام دعوى دون أن تكون قائمًا في الرعيّة بالعدل، لذلك ما سبق ذكره من تلكم الدعوة السبئيّة -نسبة إلى عبدالله بن سبأ-، وكيده الباطن في تأليب المسلمين على ولاتهم وحكّامهم؛ بالطعن فيهم والتشكيك بهم هو نفسه يتكرّر منذ أزمان وإلى هذا الزمان وبصور شتّى وألوان عدّة، طعن في الولاة، وطعن في العلماء والدعاة، طعن في النوايا، وطعن في الأعمال في صور شتّى لا يعلم نهايتها ومآلها إلا الله، ونحن نقرأ ونسمع وننظر في هذه المهزلة الجديدة التي قد يوجد فيها أحيانًا بعض اللقطات التي لا تخلو من فائدة، لكنّ جلَّها مهملات، وهو ما يُسمّى بـ(الإنترنت)، هذا الذي فيه مكانٌ لكلِّ من لا علم عنده، ولا عقل عنده -كما

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٦٣).

قلت- لا يخلو من لُقطة تكون خيرًا، لكنّ هذه اللُّقطة يذهب بهاؤها ونورها ونَوْرها بسبب ظلام وظُلم ما حولها، نقرأ من الدعاوى، ونقرأ من البهت، ونقرأ من الكذب، ونقرأ من الافتراء، ونقرأ من الظلم والظلام الشيء الكثير، الذي يؤذي النفوس، والقلوب، والعقول؛ لأنه لا رقيب ولا عتيد ولا حسيب، وكأنهم ينسون أو يتناسون قول الله -جلّ في علاه-: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧]، فيظنّون ولو بلسان الحال دون لسان المقال أنّ غاية أمرهم هذه الحياة الدنيا، وأين ما وراءها من القبر، فالبعث، فالنشور، فالحساب، فالثواب، فالعقاب ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٤].

كم سمعنا أنّ هذه الدعوة السلفيّة دعوةٌ نظريّة، دعوةٌ طويلة، دعوة مملّة، إلى غير ذلك من أوصاف التثبيط القائمة على الظلم، والتعدي، والجور، والتخذيل، بعيدًا عن النظرة النبويّة القائمة على التثبيت ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ [يونس:٤٦]، هذه آية من كتاب الله تبيّن الوسيلة، والغاية، والنتيجة، والثمرة، تبين طول الطريق -طريق الدعوة إلى الله-، وأنّ هذا كلّه -أعني الطول- والاستقامة عامل تثبيت لا عامل تثبيط.

والكلام في هذه الدعوة وطول طريقها على استقامته، وأنّ ذلك من مزاياها وخصائصها، وعلامات حُسنها شيءٌ ينبغي أن يبقى حيًّا في الأذهان، متحرِّكًا في القلوب والعقول، لا يغيب، ولا يزول، ولا ينمحي، ولكن لا بدّ

من وجود آليّة عمليّة تطبيقيّة لنحقق فيها هذه الوحدة، التي هي البُغية المنشودة، والدرّة المفقودة، كيف نُحقّق ذلك من جهة التكوين، سواء أكان ذلك بمعنى الإيجاد، أو بمعنى النشأة إلى برّ الأمان، وشاطئ الاطمئنان، الذي يكون فيه التمكين ولو بعد حين، هذا ما يُحدثنا عنه فضيلة الشيخ أبو اليسر، فليتفضل.

كلمة فضيلة الشيخ أحمد الخشاب (أبو اليسر)

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

إخواني؛ إمام الدعوة السلفيّة في زماننا، وهو أعلم أهل هذا الزمان بهدي رسول الله ﷺ بشهادة أخيه عبدالعزيز بن عبدالله بن باز هو شيخنا العلامة محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُمَاٱللَّهُ، فقد شهد لشيخنا بالعلم الجمّ الوفير، وقال عنه: «**ما تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله ﷺ من أخينا الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني**»، وقال: «**ما تحت أديم السماء أعلم بالسنّة بهدي رسول الله ﷺ من أخينا الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني**».

وسُئل عن المجدّد للدين في هذا القرن، قال شيخنا عبدالعزيز بن باز: «**إن لم يكن أخونا الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني هو فلا أدري من هو**».

قال شيخُنا المُجدّد محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ، يُبيّن لنا كيف تكون الدعوة، كيف نبتدؤها، وكيف نصل إلى الوحدة، يقول: «**هذا يتلخّص في كلمتين: التصفية، والتربية**»، التصفية: نُصفي العقيدة من كلّ ما دخل فيها

مما ليس منها، من الشرك بجميع صوره، ويستدلُّ بقول الله -تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الأنعام:٨٢] لم يخلطوا إيمانهم بشرك، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢]، يُمكّن الله لهم، ويُبدّلهم من بعد خوفهم أمنًا، ولا يكون هذا الأمن إلا بالتمكين، فتصفية العقيدة مما علق فيها من جميع صور الشرك، وتصفية السنّة، تصفية الدين، تصفية الشريعة مما علق فيها من البدع والخرافات، تصفية الفهم؛ بأن يحرص كلّ مسلم على أن يفهم دين الله، الذي هو كتابٌ وسنّة بفهمٍ واحد، وهو أن نفهمه بفهم الصحابة، الذين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وقال: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ﴾ [البقرة:١٣٧]، هذه هي التصفية التي لا بدّ أن نكون عليها، تصفية للعقيدة، وأن نبتدئ بهذه التصفية، وقد صفّى علماؤنا، وما زال طلابهم يُصفّون ما كان في كتب السنّة مما ليس من هدي النبي ﷺ عقيدةً، واتباعًا، وأخلاقًا.

وعلى هذه التصفية التي قام بها علماؤنا، وطلاب العلم، الذين يسيرون على منهاجهم، يجب أن نُربي الأمّة على العلم الصحيح، وأن نبتدئ بأوّل شيءٍ وهو أن نربي الأمّة على التوحيد، كما فعل النبي ﷺ أرسل رسله من الصحابة، ومنهم معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال له -لمّا أرسله إلى اليمن-: **«إنّك ستأتي قومًا هم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه: لا إله إلا الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأعلمهم أنّ الله فرض عليهم خمس صلوات في**

اليوم والليلة...»(١) الحديث، فلا بدّ من هذه البداية، فهذا واجب، ثمّ أن نُبيّن للناس ما هي سنّة النبي ﷺ قولًا، وفعلًا، وتقريرًا، وهذه السنّة لا بدّ أن تكون صحيحةً؛ لأنّ النبي ﷺ قال: «**من كذب عليّ متعمدًا فليتبوّأ مقعده من النار**»(٢)، وقال: «**من قال عليّ ما لم أقل فليتبوّأ مقعده من النار**»(٣)، وقال: «**من يقل عليّ ما لم أقل فليتبوّأ مقعده من النار**»(٤)، وقال: «**إنّ كذبًا عليّ ليس ككذب على أحد**»(٥)؛ لأنّ الكذب عليه كذبٌ على الله.

فلا بدّ أن نُقدّم للناس الصحيح، وأن نربيهم على الصحيح، وأن نُربي الناس على تزكية النفوس، والتي قال عنها ربُّنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [الجمعة:٢] يربيهم، يؤدبهم، يُهذبهم، ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة:٢]، التزكيةُ إنّما تكون قائمة على الكتاب والسنّة، أن نؤدب أنفسنا بما في كتاب ربنا، وبما في سنّة نبينا ﷺ الصحيحة، وإلا فخلاف ذلك ضلالٌ مبين.

---

(١) رواه البخاري (١٤٩٦) ومسلم (١٩).

(٢) رواه البخاري (١١٠) ومسلم (٣).

(٣) رواه الدارمي (٢٤٣) وأحمد (٢٢٥٣٨) وغيرهم.

(٤) رواه البخاري (١٠٩).

(٥) رواه البخاري (١٢٩١) ومسلم (٤).

وكان شيخنا -رحمه الله عليه- يقول: «**كنت أظنّ أنّ سبب فساد العالم يرجع إلى فساد الاعتقاد، وإنما هو يرجع إلى فساد الاعتقاد وفساد الأخلاق**»، فلا بدّ من تصحيح الاعتقاد، ولا بد من العمل على أن نتخلّق بأخلاق رسول الله ﷺ، الذي زكّاه ربُّه من فوق سبع سماوات، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]، وقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١]، فعلى هذا لا بدّ أن نتربّى، وأن نربي، بعد أن قدّم علماؤنا وأشياخنا التصفيّة فلا بدّ من التربية، والتربية الإعداد الذي أمر الله به في كتابه، فقال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال:٦٠]، **والقوّة قوتان:**

قوّة معنويّة، وقوّة ماديّة، والأهمُّ هي القوّة المعنويّة، وهي القوّة الإيمانيّة، أن نكون على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، وأمّا القوّة الماديّة فهي بحسب طاقتنا، واستطاعتنا، والله عَزَّوَجَلَّ أنزل ملائكةً كرامًا من السماء يقاتلون مع النبي ﷺ وأصحابه في غزوة بدر إكرامًا لهم، وقال -سبحانه-: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران:١٢٣]، فإذا حققنا هاتين الكلمتين الجليلتين فإنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سيُمكّن لنا ديننا الذي ارتضى لنا: تصفية وتربية لا غير، ولا سبيل إلى غيرهما، وغيرُهما سبيل الشيطان، سبيل الضلال،

سبيل جهنّم، بل سُبل الشيطان، سُبل جهنّم؛ لأنّ السبيل واحدة؛ هي هذه السبيل: تصفية وتربية، والحمد لله ربّ العالمين.

مدير الندوة فضيلة الشيخ علي بن حسن الحلبي

عودٌ ثانٍ وثالثٌ إلى قضية المصطلحات؛ لجلالتها، وكِبر قدرها، فكثيرٌ من الجماعات، والأحزاب المنتسبة إلى الإسلام والعمل الإسلامي -كما يُقال في لغة العصر- تتوهّم أنّ التمكين إنّما ينحصر بالمال، أو الملك، أو الحكم، أو الإدارة، فيجعلون جهودهم كلّها متوجهةً إلى الشؤون التي لها صلةٌ بالحكم، والقيادة، ويتطلّعون إلى مناطق السيادة، والمال، والسيطرة لتوهمهم أنّ التمكين لا يكون إلا بذلك، وهذا في الحقيقة من الخطأ بمكان، فنبيّ الله يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال الله -تعالى- عنه: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [يوسف:٢١]، إذًا يوسف ممكن، مع أنه كان تحت ولاية حاكمٍ غير مسلم، فما هذا التمكين إذًا، وهو ليس في موضع الولاية، ولا في موضع السيادة، ولا في موضع الحكم؟

إنّه -والحالة هذه- تمكين الدعوة، وتمكين الكلمة الطيبة، وتمكين الكتاب والسنّة في النفوس، وتمكين الإيمان في القلوب، وتمكين لغة العلم في العقول، فإذا تمكّنت هذه المعاني، واكتملت تلكم المعالم كان هذا هو التمكين، أمّا ما وراءه ممّا يتطلّع إليه المتطلعون، ويشرئبُّ إليه بالأعناق

المشرئبُّون والمتطاولون، فليس هو من أهداف النبوّة، فضلًا عن أن يكون من أهداف أتباع النبي الأعظم ﷺ.

نقطة ثانية: أنّ فضيلة الشيخ -حفظه الله ونفع به- قد ذكر الشيخ الألباني، ولعلَّ غيرَ واحد من مشايخنا الذين سبقونا في هذا اليوم، وبخاصّة فضيلة الشيخ الدكتور محمد موسى نصر المدير التنفيذي لهذا الملتقى العلميّ -جزاه الله خيرًا-، لمّا تكلّم عن مركز الإمام الألباني، وعن شيخنا الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وما أشبه ذلك، وقد سمعنا الشيخ أبا اليسر يذكر الشيخ الألباني، ونحن لا نستبعد أن يكون بين هذه الجموع الطيبة -التي نسأل الله الخير لنا ولها، وأن لا تكون سبب غرّةٍ لنا ولها- أن يكون بعضٌ من الناس من لم يسمع بالشيخ الألباني مطلقًا، أو من سمع به ولكن لم يسمع كلمة الحقّ فيه، هذا ممكن -أيضًا-، الشيخ الألباني لم يجمعنا وإياه نسب، فهو أعجميٌّ من وسط أوروبا ونحن عرب من بلاد الشام، والشيخ الألباني لم يجمعنا وإياه من الدنيا سبب، أو لون، فهو ما شاء الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ أبيض وأشقر، ونحن سمر سود الشعور مع شيء من الشيب، إذًا؛ ما الذي جمعنا وإياه إلا هذا العلم! كما قال ابن سيرين: «**إنّ هذا العلم دين فانظروا عمّن تأخذون دينكم**»، فوجدناه إمام هدى، ووجدناه قد أثنى عليه من هم في طبقته ممن في دنيا الناس ينبغي أن يغاروا منه ويحسدوه، لكنّهم أنصفوه، وأقرُّوه؛ لأنّ الشمس لا

يُمكن أن تُغطّى بغربال، فعلم الشيخ، وجهده، وجهاده، وأثره، وآثاره، ومآثره قد ملأت الدنيا، والله عندما نذهب إلى الحجّ ونرى إخواننا المسلمين القادمين من أطراف الدنيا، من آسيا، وأوروبا، وأستراليا، وأمريكا الشماليّة والجنوبيّة، و... و... و...، نسمع ببلادٍ لم نسمع بها قبل هذا الوقت، إذا بالناس إذا عرفوا أننا من الأردن، أو من بلاد الشام، قالوا: هنيئًا لكم بالشيخ الألباني، الشيخ الألباني كتبهُ تطبع عندنا، وعلمه يُدرّس بيننا، فشيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم تكن هذه الصلة بيننا وبينه، ومعنا ومعه إلا بسبب هذا الدين، هذا الدين العظيم، الذي جعل أبا لهب القرشيّ ليس منّا ولسنا منه، والذي جعل سلمان الفارسي منّا ومنه، كما قال علي -ويُروى مرفوعًا ولا يصح-، قال علي: «سلمان منّا آل البيت»، سلمان أتى من وراء النهر يبحث عن الحق، ويبحث عن الحقيقة، يتطلّبها، ويُدركها، ورسول الله لا يعرفه، ولا يعلم عنه، ثمّ إذا به يُسلم بين يديه، أبو طالب عرف الإسلام، وعرف محمدًا نبيّ الإسلام، وعرف الحقّ: «**يا عمّاه قل كلمة، قل: لا إله إلا الله**»(١)، يقولون له: أترغب عن ملّة آباءك وأجدادك، قال: «**بل ملّة عبدالمطلب**»، فمات عليها، قال ابن القيّم(٢): «**كأنّ الله يقول: يا محمد! أنت تُريد أبا طالب**

---

(١) رواه البخاري (١٣٦٠) ومسلم (٢٤).

(٢) «الفوائد» (ص٤١).

وأنا أريد سلمان»، وهكذا شيخنا جاء من وسط أوروبا هربًا من الحكم الشيوعي الطاغي، هرب به أبوه وهو بعدُ في سن صغير إلى بلاد الشام إلى دمشق، فحبّب الله إليه العلم، وحبّب إليه من العلم السنّة، وحبّب إليه في السنّة نشرها، فكان منه ما كان، حتى وفّقه الله بصورة وطريقةٍ لا يعلمها إلا هو لتكون خاتمة حياته في هذه البلاد الطيبة، التي -ولله الحمد- آوته، ونصرته، ورفعته، وآواها، ونصرها، ورفعها، وكان سدًا منيعًا أمام أهل البدع، وأهل الغلو، وأهل التطرُّف، ممن انحرفوا وانجرفوا، فكان صوته هو الصوت العالي بالحق، والمرتفع بالهدى، هذا شيخ الإسلام في هذا العصر، وكذلك كان شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية الحرّاني النميري الدمشقي رَحِمَهُ اللَّهُ في العصر السابق، كان أنموذجًا عاليًا في سيرة حياته التي اجتاحتها كثير من الاضطرابات، وكثير من الفتن والأمور المشكلات، ومع ذلك بقي صامدًا في سبيل وحدته، وتوحيده، ودعوته ثابتًا على الحق مع إقرار بولاية أولي الأمر والجماعة.

ونسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في ختام هذا اليوم الأول من أيام الملتقى العلمي الثاني لمركز الإمام الألباني أن ينفع الله بنا وينفعنا، وينفع بكم وينفعكم، إنه -سبحانه- ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهرس

- المقدمة ٥
- كلمة فضيلة الشيخ أحمد الخشاب ٨
- كلمة فضيلة الشيخ علي الحلبي... ١٦
- كلمة فضيلة الشيخ أحمد الخشاب ٢٠
- كلمة فضيلة الشيخ علي الحلبي... ٢٥
- الفهرس ٢٩